كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

العدد الأول	المحرم سنة ١٣٦٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على النبي العربى الأمين ، الذى أنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

وبعد ، فإن من أهم أغراض الاتحاد العام لجماعة القراء نشر علوم القرآن الكريم وما يتصل بها ، بين حفظته ومحبيه ، والكشف عن كنوزه ومعانيه ، وإيضاح مقاصده ومراميه ، والاهتمام بالبحوث الدينية على هدى الكتاب والسنة ، وعرض الأدواء الخلقية وطرق علاجها ، وبسط المشاكل الاجتماعية وسبل حلولها .

لهـذا استخرنا الله تعالى فى إصدار هذه المجلة لتحقيق هـذه الأغراض ، وسميناها (مجلة كنوز الفرقان) .

وقد رخصت وزارة الداخلية فى إصدارها بكتابهـا رقم ١١/ ٢/ ١١٧٦ الصادر فى ٧/ ٦/ ١٩٤٨

وسنصدرها بتوفيق الله تعالى فى كل شهر عربى ابتداء من شهر الله المحرم سـنة ١٣٦٨ هجرية . وقد حرصنا على أن تـكون هذه المجلة فى متناول الجميع ، نخفضنا ثمنها كما يرى على غلافها ، ويسّرنا لغة تحريرها . والله المسئول أن يوفقنا إلى النهوض بالقراء إلى المسوى اللائق بهم ، فى ظل حضرة صـاحب الجلالة مولانا الملك المعظم (فاروق الاول) . أيد الله عرشـه ، وأمد فى عمره ، وأعز به الإسلام والمسلمين ؟

مدير المجلة

على محمد الضباع

رئيس مجلس إدارة الاتحاد العام لجماعة القراء

وشيخ عموم المقارىء المصرية .

فى الهجرة النبوية

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجلس الاستشارى الأعلى للاتحاد العام لجماعة القراء فى افتتاح السنة الهجرية

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى افتتح بالهجرة الشريفة النبوية أولى صفحات إعزاز دينه القويم ، ونصر بها نبيه إمام المجاهدين ، وقدوة المهتدين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه :

إخوانى وأبنائى المسلمين :

تسعد الأيام بما تتمخض عنه من أحداث عظام ؛ وإنه ليوم مبارك الطلعة ، خليق أن يتخذه المسلمون عيداً ؛ ذلك اليوم الذى هاجر فيه الرسول ﷺ من مكة المكرمة ، إلى المدينة المنورة ، فيتذكرون فيه من صفات الرسول صدق الإيمان ، وقوة العزيمة ، ونفاذ البصيرة ، وكمال الشجاعة ، وغاية الإيثار .

لقد أجمع خصوم الرسول ﷺ أمرهم على أن يتخلصوا منه ، وزين لهم شيطانهم أن فى ذلك إطفاء لنور الله ، الذى آن له أن يشرق على الكون فيضيئه ، وبيتوا قتل الرسول ﷺ فى ليلة معينة ، بطريقة معينة ، يتفرق بها دمه الطاهر فى القبائل ، فتحار قبيلته فى الثأر له ، لأنها لا تقوى على معاداة القبائل كلها ، إن هى شنت الحرب عليها جميعاً . ولا هى تعرف أى قبيلة قتلت الرسول فتثأر له منها ، وكان الرسول ﷺ قد أحيط بما اعتزمه المتآمرون ، إذ أطلعه الله على مكرهم ، وعلى الليلة التى حددوها لتنفيذ جرمهم ، فقابل الرسول ذلك الفضل من الله بشكر عميق ، وإيمان كامل ، وقلب سليم ، لا ينفذ إليه فرق ولا جزع ، ونفس مطمئنة مهيأة لأبلغ رسالة ، حتى إذا التف المتآمرون بدار

الرسول ﷺ ، وراحوا يتباهون بما اتووه ، ويتفاخرون بما عسى أن تضفيه عليهم قبائلهم من المدح والثناء ، لقاء شنيع صنعهم ، إذ بالرسول ﷺ يخرج من داره ، فيغشيهم الله ، فلا يبصرون .

ويمضى رسول الله ﷺ إلى منزل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانا قد تواعدا على اللقاء به ، بعد أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب ؛ فرافقه الصديق فى يوم أبلج أغر ، ويصبح المتآمرون ويدخلون دار الرسول يبغون تنفيذ ما بيتوا النية عليه ، فلا يجدون فى مضجعه إلا علياً كرم الله وجهه ، متشحاً رداءه ، معرضاً حياته فى سبيل صاحب الدعوة ، وحامل الرسالة ، فيقيه الله مكر الماكرين ، ويحفظ حياته وحياة الرسول الأمين ، ليتم نعمته على العالمين .

وما كاد الرسول ﷺ يخرج ليلا من مكة مع الصديق رضى الله عنه ، ميممين شطر الغار ، حتى أحاط الصديق بالرسول ، فيسبقه مرة ، ويمشى خلفه مرة ، ويسير عن يمينه تارة ، وعن يساره أخرى ، فلما استوضحه الرسول جلية الأمر ، أجابه : أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك . فلما بلغا الغار تقدم أبو بكر فاستبرأه ، ودخل الرسول ﷺ .

وكان من أمر المشركين أن تابعوا الرسول والصديق ، فلم يفوزوا بما أرادوا بل رجعوا على أعقابهم خاسئين ، وانقلبوا إلى أهلهم خاسرين ، وأتم الله نعمته على رسوله ﷺ ، ووصل هو وصاحبه إلى المدينة المنورة ، فخف المسلمون لاستقبال الرسول ﷺ ، وكبروا فرحاً بقدومه ، وحيوه تحية النبوة . قال البراء : ما رأيت الناس فرحوا بشىء كفرحهم برسول الله يوم جاء المدينة . وقال أنس : شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا .

هذا هو صدق إيمان الرسول ، ومضاء عزمه ، وقوة احتماله فى سبيل الدعوة إلى الحق ، وهذا هو وفاء صحبه ، وتفانيهم فى نصره . فاذا أحيينا نحن المسلمين ذكرى الهجرة المحمدية ، فانما تتمثل الرسول ﷺ ، فى قوة إيمانه ، ونفاذ بصيرته ، ومبلغ وفائه فى سبيل نشر الدعوة لدين الله ، فقد مكن الله للمسلمين بهجرة الرسول ﷺ وهجرتهم من مكة إلى المدينة ، فألف بين قلوبهم ، فكانوا وحدة قوية متماسكة ، وجبهة متراصة ، أرعبت المشركين فى مكة ، وطوحت بأطماع اليهود فى يثرب ، ودخلت قبيلتا الأوس والخزرج فى دين الله ، فتآخوا ، واتحدت كلمتهم ، وزال ماكان بينهم من عداء سابق دام عشرات السنين ، وساهموا فى إعلاء الإسلام ، ونشر لوائه ، ثم قضى المسلمون على الدس والغدر والفساد والكيد والخبث والنفاق ، وحاربوا اليهود وغلبوهم على أمرهم ، وأجلوهم من المدينة وما جاورها من القرى ، وتتابع الوحى الإلهى على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، حتى شمل جميع مظاهر الحياة ، من العبادات والمعاملات ، ومحاسن الأخلاق والآداب ، ونظام الأسرة والقضاء والمواريث ، والحروب والمعاهدات ، وغير ذلك من كل ما يكفل للمسلمين — إذا هم عملوا به — حياة سعيدة فى الدنيا والآخرة .

هذه خوالج تخطر فى النفس ، كلما جاءت الهجرة أو ذكرت ، ولكنها اليوم تستدعى تأملا أعمق ، فقد جاء عيد الهجرة والمؤمنون فى شرف الجهاد ضد الذين يريدون أن يخرجوهم من ديارهم ، ولكن الله من على المؤمنين فوحد قلوبهم ، وجمع كلمتهم على مقاومة هذا العدوان ، وسيكتب لهم بإذنه تعالى النصر المؤزر ، والفوز المبين ، بفضل تآخيهم وتماسكهم ، ومهما طالت المحنة فإن الله ناصر دينه ، معز لعباده المؤمنين ، وليكن لنا أسوة فى رسول الله ﷺ ، فقد صبر حتى ظفر ، وجاهد حتى انتصر .

إخوانى وأبنائى المسلمين :

إن دينكم حق كله ، وخير كله ، فاستمسكوا بعروته ، وتعـاونوا على البر والتقوى ، ولا تفرقوا ، فإن يد الله مع الجماعة ، وإن خير ما أوصيكم به فى هذه الذكرى المباركة أن تتقوا الله ، وتصلحوا ذات بينكم ، وتتبعوا كتابه ، وتعملوا بهديه ، فإن الأمة الإسلامية عاشت عزيزة مهيبة ما تمسكت بكتاب الله ، وعملت بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولم يصبها الانحلال والضعف إلا حين تنكبت طريق الهداية ، وأعرضت عن سبيل الحق ، هدانا الله وإياكم سواء السبيل .

اللهم فاطر السموات والأرض : تولنا بلطفك ، وامنحنا رضاك ، ووفقنا للاهتداء بهدى نبيك الكريم ، وأصلح أمرنا . اللهم انصر عبادك المجاهدين فى سبيلك ، وأمدهم بعونك ، وأيدهم بجندك ، واشمل بحمايتك ورعايتك ، صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم الملك فاروقا الأول . اللهم اشرح صدره ، ويسر أمره ، وآته سؤله ، وأنله ما يبتغيه للإسلام والعروبة من خير وعز وكرامة . اللهم أحيه حياة طيبة مباركة تعم بنفعها البلاد والعباد .

وإنى وإخوانى وأبنائى الأزهريين ، نرفع إلى مقام جلالته أسمى آيات الولاء والإخلاص والتهنئة ، والشكر ، ونسأل الله تعالى أن يعيد هذا العيد السعيد على جلالته باليمن والفتح المبين ، وأن يوفق رجال الحكومة إلى ما فيه الخير العميم . كما نبعث بتهنئتنا الخالصة إلى إخواننا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالعام الهجرى الجديد ، ضارعين إليه تعالى أن يعيده على المسلمين والعرب ، وقد ثبت الله أقدامهم ، وحقق آمالهم ، وظفروا بالنصر المبين .

ونسألك اللهم يا واسع الفضل والإحسان : أن تتغمد برحمتك ورضوانك الراحل الكريم مولاى الملك العظيم ، صاحب الجلالة الملك فؤاداً الأول . اللهم اجعله فى أعلى عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تفسير القرآن الكريم

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

مكان نزولها وعدد آياتها

قال ابن عباس : هى مكية .. وقال مجاهد : هى مدنيـــة . والجمهور على الأول . وآياتها ثلاث بالاتفاق .

بيان أوجه اتصالها بما قبلها

ذكر سبحانه وتعالى فيما قبلها (التكاثر) صـــفة الغافلين اللاهين بالتكاثر والتفاخر ، وذكر فى هذه صفة المؤمنين العاملين ، والشيء إذا قوبل بضده تميز أكبر تميز ; فلا جرم ذكرت هذه بعد تلك .

بيان المعنى

« والعصر » : قسم ومقسم به . والعصر يطلق ويراد به الدهر الذى تقع فيه الحوادث ، ويطلق ويراد به جزء معين منه ، وهو وقت العشى الذى هو وقت صلاة العصر . ويطلق ويراد به صلاة العصر .

بيان المعنى المراد

واختلف العلماء فى المراد بالعصر الذى أقسم الله به فى السورة الكريمة :

فقال ابن عباس : إن المراد به الدهر ، أى الزمان كله .

ووجه الحكمة فى القسم به اشتماله على الأعاجيب الدالة على قدرته سبحانه وتعالى : ففيه السراء والضراء ، والنعماء والبأساء ، والصحة والسقم ، والفرح والحزن ،

والغنى والفقر ، والعز والذل ، والهناءة والشقاوة ، والحرب والسلم ، والصداقة والعداوة . وفيه غير ذلك مما لو تنبه له العاقل لعلم أن للكون ربا هو خالقه ومدبره ، ومنظمه ومصيره ، وإذا علم ذلك توجه إليه بالعبادة والضراعة ، والخضوع والطاعة ، والإذعان والتسليم .

وقال قوم : إن المراد به وقت العشى .

ووجه الحكمة فى القسم به : أن فيه صلاة العصر ، وهى الصلاة الوسطى الفاضلة التى خصها الله بالذكر فى قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

ولا ريب أن زمنا فيه صلاة أمر الله بالمحافظة عليها بوجه خاص يكون بمكان من العظمة ، يستأهل به أن يقسم به ، وأن يخصه الله بمزيد من الإجلال والإعظام .

وقال مقاتل : إن المراد به صلاة هذا الوقت .

ووجه الحكمة فى القسم بها : أن الملائكة تحضرها كما تحضر صلاة الفجر ، فتشهد لمن حافظ عليها وأقامها ، وتشهد على من تركها وأضاعها .

ويا فوز من تشهد له الملائكة وتبارك عمله ، ويا خسر من تشهد عليه وتنعى عمله وتذكر وزره .

وذهبت طائفة إلى أن المراد به وقت العشى ، ولكنه ليس العشى فى يوم من الأيام ، بل العشى فى الدهر كله جملة .

وذلك العشى هو وقت رسالة محمد ﷺ ، فإن هـذا الوقت هو آخر الدهر ، كما أن العشى هو آخر اليوم .

وقد استأنسوا لهذا القول بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« إنما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الأمم مثل رجل استأجر أجيرا فقال : من يعمل إلى الظهر بقيراط ؟ فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل إلى العصر بقيراط ؟ فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل من العصر إلى المغرب بقيراطين ؟ فعملتم أنتم » .

وعلى هذا يكون القسم بزمان الرسول ﷺ ، وهو الذى أميل إليه وأرتضيه .
وإنما أقسم الله به ، كما أقسم بمكانه فى قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد » تعظيما لزمان الرسول ومكانه ، وفى ذلك تعظيم له صلى الله عليه وسلم وتشريف ، وإظهار لمكانته وجليل قدره .

وأيا ما كان المراد من العصر فهو شىء محدث مخلوق أقسم الله به ، كما أقسم بالشمس والقمر ومواقع النجوم ، وبالليل والنهار والضحى ، وغير ذلك .

وهذه الأقسام جارية على العادة من توكيد الأخبار بالأقسام .

والله سبحانه وتعالى غنى عن ذلك ، ولكن المخاطبين الجاحدين فى حاجة إليها .

ومما ينبغى علمه أنه لا يلزم أن يكون القسم بشىء يخشى المقسم إذا حلف به وحنث أن يقع تحت المؤاخذة ، بل قد يكون القسم بشىء من هذا ـ وهو لا يصح فى جانب الله ـ وقد يكون بشىء له قدر وقيمة فى ذاته وعند المقسم ، ويكون القسم به للدلالة على قدره وخطره ومكانته ، والفوائد المرتبطة به ، وأقسام الله تعالى من هذا الباب .

وقد يدل القسم على تأكيد وجود المقسم به للرد على من ينكره ، كالقسم بيوم القيامة ، وقد يدل على غير ذلك بحسب المواقع وما يتبع المقسم به من الصفات .

« إن الإنسان لفى خسر »

المراد بالإنسان الجنس الذى يشمل المؤمن والكافر ، بدليل أنه استثنى منه الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والاستثناء دليل على أن المراد منه العموم .

« والخسر » كالخسران : هو ذهاب رأس المال أو انتقاصه ، وقد ينسب إلى الإنسان فيقال : خسر فلان ، وقد ينسب إلى فعله فيقال : خسر تجارته .

وأكثر ما يقال الخسران فى المقتنيات الخارجة عن الشخص كالمال ، وقد يقال على الأقوال النفسية والمعنوية كالإيمان والثواب .

وكل خسر ذكر فى القرآن فقد أشير به إلى تعاطى مايزيد فى الوزر ، ويستوجب الإثم ، وينقص الأجر .

والمراد بالخسر هنا ما ينغمس فيه الإنسان من الأسباب المردية ، والمناكر الموبقة ، والخسائس المهلكة .

وتنكير كلمة «خسر» للدلالة على تعظيم خسرانه ، وأنه بلغ مبلغاً لاتدرك حقيقته .

والتعبير بقوله « فى خسر » يدل على أن الإنسان كالمغمور فى الخسران ، وأن هذا الخسران قد أحاط به من كل جانب ، وذلك أن كل ساعة تمر بالانسان ، فان كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك فى الخسر ، وإن كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضاً حاصل ، وإن كانت مشغولة بالطاعات فهى غير متناهية ، وترك الأعلى والاقتصار على الأدنى فيه نوع خسران .

والمعنى : وحق العصر إن كل فرد من أفراد الإنسان ممن يصح أن يتوجه إليه الخطاب والتكليف ، ويصح أن يقابل بالمدح والذم ، ويجازى بالثواب والعقاب ـ يحيط به الخسران ، بما ركب فيه من غرائز الشهوة ، وبما طبع عليه من حب الاستعلاء والنفوذ ؛ تلك الغرائز والطباع التى تزين له دائماً الدنايا ، وتدعوه إلى ارتكاب المناكر ، والولوج فى سبيل الغى ، وطرق البغى ، ومشارع الهوى .

ولا ينجيه من هذا إلا الإيمان الذى يدعو إلى العمل الصالح ، والتواصى بالحق والصبر .

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » :

فى هذه الآية استثناء للمؤمنين الصالحين ممن سبق الحكم عليه بالخسر ، وفيه تسلية للمؤمن بأن العمل الصالح يوصله إلى ما يرغب فيه من رضوان ربه ، وعظيم فضله ، وبالغ كرمه .

لهذا ، ولم يذكر فى الآية الكريمة ما يجب الإيمان به ، وكذا لم تذكر فيها الأعمال الصالحة المنجية من الخسار ، الواقية من البوار ، الحافظة من النكال .

ومما لاشبهة فيه أنه كان معروفا منذ بدء الرسالة ما يجب الإيمان به ، والتصديق بفرضه . فمن فجر الرسالة والرسول ﷺ يدعو الناس إلى الايمان

بالله والتصديق بوحدانيته ، وإلى الإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ أجاب السائل عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

وقد اشتمل القرآن الكريم فى كثير من سوره على بيان الأعمال الصالحة ، وهى محصورة فى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

بيان حقيقة الإيمان

والإيمان هو التصديق الذى لا مجال للريب فيه ، ومعناه عقد القلب الذى يلازمه طمأنينة النفس وزوال الشك .

والإيمان الحق لاتنطوى حقيقته على الأعمال ، بل هى زائدة عليه ، لكن مناط النجاة مرتبط بهما ، فلا يجوز لأحد أن يتكل على غير الايمان والعمل الصالح ، لأن الله سبحانه وتعالى يخبر بأن كل إنسان واقع فى الخسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

نعم الآية لا تدل على تخليد العصاة فى النار كما هو رأى المعتزلة ، لأن الخسر كما يكون بالتخليد يكون بدخول النار لاستيفاء الجزاء ، ثم الخروج منها بعد الاستيفاء .

وقد شرط الله للنجاة بعد الايمان والعمل الصالح التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وبين أن كمال الإنسان فى نفسه لايكفى حتى يسعى إلى كمال غيره فيوصى بالحق والصبر .

والحق : هو الأمر الثابت ، وهو كل ما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ إنكاره ، وهو الخير كله ؛ من توحيد الله تعالى وطاعته ، واتباع كتبه ورسله ، والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة .

والصبر : هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع .

وإن للصبر أسماء تختلف باختلاف مواقعه ، وتتنوع بتنوع مواضعه .

فحبس النفس عند المصيبة يسمى صبراً ، وضده الجزع .

وحبس النفس عند الإثارة يسمى روية ، وضده العجلة .

وحبس النفس فى جهاد الأعداء يسمى بسالة ، وضده الجبن والخور .

وحبس النفس عن المعاصى يسمى إيمانا ، وضده الفسوق .

وفى الصبر على المعاصى مشقة ، وفى الصبر على طاعة الله مشقة ، والتكاليف كلها مشقة .

وإن الصبر من الأخلاق الأصيلة الكريمة ، وهو أساس جميع الفضائل : ولذلك قيل : إنه نصف الإيمان .

وقد ذكره الله سبعين مرة فى القرآن الكريم ، ووعد عليه بالجزاء الأوفى ، والمثوبة العظمى ، فقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » وقال : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

نسأل الله أن يهبنا الصبر على طاعته ، والكف عن معصيته ، وأن يروض نفوسنا على خدمة كتابه ، ونشر دينه ، وإعلاء كلمته ، وأن يوفق هذه المجلة لنصرة الدين ، وخدمة المسلمين .

عبد الرحيم فرغل البليني
المدرس بكلية الشريعة

منشآت الاتحاد

معهد فاروق الأول :

للتجويد وإيصال أسانيد القراء بأئمة القراءات . مدة الدراسة فيه سنتان يمنح الطالب فى نهايتها شهادة قارىء مجيد ، ويتجاوز للمجيد عن السنة الأولى .

أوقات الدراسة من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ١١ صباحا عدا أيام الخميس والجمعة والمواسم والأعياد وشهر رمضان .

وتقرر مكافأة لأوائل المتخرجين : ١٠ جنيه للأول و ٨ جنيه للثانى و ٦ جنيه للثالث و ٤ جنيه للرابع و ٢ جنيه للخامس .

فضائل القرآن

قال الله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » سورة النحل الآية ٥٩ .

القرآن كتاب الله الكريم . أنزل على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وهو خاتم الكتب التى نزلت من عند الله على أنبيائه ورسله ، وهو الدستور الجامع للشريعة الخالدة التى ختم الله بها الشرائع .

هذه حقائق ثلاث :

(١) رسول ختم الله به النبوة والرسالة (٢) شريعة ختم الله بها الشرائع (٣) كتاب ختم الله به الكتب السماوية المنزلة من عنده .

لذلك اقتضت حكمة الله أن يكون هذا الكتاب شاملا وافياً بحاجات الإنسانية وما تحتاج إليه فى شتى مناحى الحياة الدينية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية ، وما يتصل بهذه النواحى من الشئون ، فتراه يقص علينا أنباء الأمم السابقة ومسلكها مع رسلها ، وما قاسى هؤلاء الرسل فى سبيل تبليغ رسالة ربهم ، ليكون فى ذلك تسلية لرسوله الكريم عما يصيبه من أذى خصومه .

وقد جاء القرآن الكريم بذكر أنبياء لم تذكرهم التوراة لأنهم بعثوا بعد موسى ، وهذا دليل على صدق محمد ﷺ فى رسالته ، وأن القرآن من عند الله .

وتراه يذكر لنا ماوراء الطبيعة فيتكلم عن الروح ، والنفس والأفئدة والفطرة والغريزة ، والهوى ، والضمير أو السريرة ، والمسئولية الشخصية ، والكسب والاختيار . واقرءوا إن شئتم قول الله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح

من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، وقوله « لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ، وقوله « وما أبرىء نفسى ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا مارحم ربى ، إن ربى غفور رحيم ، وقوله « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، وقوله « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، وقوله « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، وقوله « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ويقول « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ، ويقول « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ويقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ويقول « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله ، .

ولو حاولنا أن نستقصى الآيات التى أوردها الكتاب المبين فى تفصيل ماوراء الطبيعة من أحوال تتصل بالإنسان والإنسانية ما وسعنا هذا المقال . ويكفى أن نأخذ بطرف من أطراف مسالك هذا الكتاب لنقف على فضائله فى هذه الناحية .

وكذلك تراه بعد أن يحيط بأحوال الطبيعة وما وراء الطبيعة ، يتكلم على التوحيد والعقائد لأن ذلك أساس الشريعة . ولم يقتصر القرآن الكريم فى ذكر التوحيد والعقائد على الأساس الأول ، بل ذكر جميع الأسس وما يتصل بها . والمستقرىء لآيات القرآن يجده قد أعلن وجود الله ووحدانيته بالبرهان والدليل ، وذكر صفات ذاته وصفات أفعاله جل شأنه ، وذكر اليوم الآخر والملائكة والجن والحساب والجنة والنار والميزان وما إلى ذلك من أحوال القبر والبعث والآخرة .

وتراه يعرض عليك عند ذكر الأديان الكتب المقدسة . والفرق المؤمنة والضالة ، وسلوكهم من الرسل ، وموقفهم من نعم الله وهديه ، وما أصيب به البعض من تعصب وتشدد وعقائد باطلة ، ليضع أمام أنظارنا صورة من الماضى بحسنه وقبحه ، ليكون لنا فى ذلك العبرة والعظة . ولذلك حرص القرآن الكريم

على ذكر مصير الأمم والفرق والشيع ، وما كتب للصالحين فى دنياهم وأخراهم من سعادة وهناءة ، وما كتب للكافرين والضالين من شقاء ونقمة وعذاب .

وترى القرآن الكريم يذكر لنا فى العبادات ، الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويفصل أحكام بعضها ، ويترك للرسول ﷺ بيان البعض الآخر ، بل ويترك لاجتهاد العلماء كثيراً من الأحكام . يقول تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ويقول « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وذلك رحمة من الله لعباده .

وتراه يذكر فى الحدود القصاص فى القتل والجروح ، ويذكر جزاء السارق والزانى وقاطع الطريق ، فيقول « كتب عليكم القصاص فى القتلى ؛ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » ويقول « النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » ويقول « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ويقول « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ويقول « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

ولم يغفل القرآن الكريم ذكر النظام الاجتماعى ، بل ذكر لنا الزواج والطلاق والنشوز والتبنى والوصـــايا والحجر والموالى والإماء ونظام الأسرة والتوارث والشورى والسلطة الشعبية والضرائب والتبرج والتزين والجندية والحروب والنصر والهزيمة والغنيمة والأسرى .

وألم بجانب كبير من العلوم والفنون على قدر حاجة البشر فى أحوالهم المتصلة بالشريعة الغراء ، فذكر علم الفلك ، وذكر السموات والشمس والقمر والنجوم ، ومالها من أثر فى ضبط المواقيت والاتجاهات . وما يستفيد منها الناس فى معاشهم ومعادهم .

أما الشئون الاقتصادية فقـــد اهتم بها القرآن لتكون معاملات الناس على أساس الحق والمحبة والسلام ، لا على أساس الباطل والخصام والشقاق .

فبين كيف يكون البيع والعطاء ، والأخذ والشراء على تراض بين الناس . وأوضح أحكام الرهن والسلم ، والشركة والربا ، والدين والتحكيم . وأداء الأمانة ، والاقتصاد والإسراف والتبذير .

ولما كانت الأخلاق من أهم مقاصد الشريعة الغراء ، وجه إليها القرآن الكريم عناية عظيمة ، لحث على فضائلها ، وحذر من رذائلها ، لحث على المودة والتعاون والرفق والإحسان والعفة وحسن السلوك والوفاق وإصلاح ذات البين والبشاشة والدعة والسداد والاستقامة والعدل وحسن الإخاء والحلم والعفو والغفران والتواضع والصبر والثبات والشكر وحسن القرى والضيافة والتضامن والتزام الحق . وحذر من التنازع والشقاق والظلم والاعتداء والاختيال والبخل والبهتان والغضب والفضول والكيد واللمز والهمز والأثرة والحسد والغش والبطر والجبن والخلاعة والكذب والغيبة والنميمة والرياء والسخرية والمكر والتنابز بالألقاب وسوء الظن والغدر والغرور .

هذه إلمامة مجملة بالنواحي التي اهتم بها القرآن لنبين كيف نزل هذا الكتاب تبياناً لكل شيء .

ولا شك أنه حين يبين للناس طريق الخير والشر يكون هدى للناس ورحمة لهم . فان من أرشدك إلى طريق سعادتك وشقائك فقد هداك ورحمك . وقد عنى القرآن بتبشير المسلمين الذين يسيرون على نهجه . كما عنى بانذار العاصين المخالفين لهداه « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً » .

وإيضاح هذه المقاصد التي اشتمل عليها الكتاب الكريم يحتاج إلى جهود متواصلة . ونرجو أن نوفق إلى بيان جانب منها . والله الموفق والمعين ؟

عبد الله المراغي
مدير المساجد وعضو المجلس الاستشارى
الأعلى لاتحاد عام جماعة القراء

جبريل أول معلم للتجويد

أول من علم التجويد جبريل عليه السلام ؛ علمه النبي ﷺ .

« فى شرح البخارى للبرماوى فى معنى مدارسة جبريل للنبي ﷺ أن معناه تعليمه مخارج الحروف وكيفية النطق بها » . وكذا قال الكرمانى .

وعبارته « وفائدة درس جبريل ، تعليم الرسول تجويد لفظه، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، وليكون سنة فى حق الأمة ، لتجويد التلاميذ على شيوخ قراءتهم » . وأول من أفرده بالتأليف موسى بن عبيد الله بن خاقان الخاقانى البغدادى المتوفى سنة ٣٢٥ هـ .

وعده جماعة من فروع العربية ، وجماعة من فروع القراءة . والظاهر أنه فى الأصل لتصحيح النطق العربى، ولما اختلط العرب بغيرهم وكانت المحافظة على تصحيح النطق بلفظ القرآن آكد منها باللفظ العربى، اضطر القراء لتدوينه بنوع خاص.

ثبوت القراءات عن رسول الله ﷺ وتاريخها

الدليل على أن القراءات السبع وردت عن رسول الله ﷺ ونزل بها جبريل عليه السلام : ورودها إلينا بالأسانيد الصحيحة عن أئمة القراءة المتصلة أسانيدهم بالنبي ﷺ . وعلماء القراءات فى جميع الأعصار والأمصار يشهدون بذلك فى مؤلفاتهم، وفى إجازاتهم لتلامذتهم ، وأن النبي ﷺ قرأ بها على جبريل عليه السلام .

والقرءات السبع المعروفة اليوم المنسوبة لنافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى ، ليست بمجموع الأحرف السبعة الواردة فى حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » كما يظنه بعض العوام ، بل هى وغيرها من القراءات التى كانت مشهورة وانقطعت أسانيدها بانقراض رواتها ، بعض هذه

الأحرف كما يعلم ذلك من نصوص العلماء : قراء ومحدثين وفقهاء . ومن ذلك قول الإمام أبى محمد مكى فى كتابه الإبانة : « هذه القراءات التى يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة ، إنما هى جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف العثمانى الذى أجمع الصحابة ومن بعدهم عليه . فإن قيل : الأسانيد إلى الأئمة وأسانيدهم إليه ﷺ على مافى كتب القراءات وإجازات القراء ، آحاد لاتبلغ عدد التواتر ، قلنا : إن انحصار الأسانيد فى طائفة لايمنع مجىء القراءات عن غيرهم . فلقد كان القرآن الكريم يتلقاه الجم الغفير من أهل كل بلد عن مثلهم ، وكذلك دائماً ، فالتواتر حاصل . وقد جرت عادة المسلمين فى جميع الأمصار بأنه لو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلده ، لم يوافقه على ذلك أحد ، بل كانوا يجتنبونها ويأمرون باجتنابها ، ولا زالت هذه العادة جارية إلى زماننا هذا ، ولها حوادث مدونة فى كتب التاريخ » اهـ .

ونسبة القراءات إلى الأئمة المعروفين اصطلاحية ، لتصديهم لضبط الحروف عن شيوخهم فيها . ولا زال المقرئون فى جميع الأمصار أحد رجلين : إما مقرىء بما زاد على السبع إلى العشر أو الأربع عشرة ، وإما مقرىء بالسبع فقط غير منكر على من أقرأ بما فوقها مما ذكر ، والمقرئون بما زاد على السبع لايحصون . وقد أجمع الناس من القرون الوسطى إلى الآن على تلقى القراءات العشر بالقبول . وقد نص على تواترها غير واحد من الأئمة ، وإن التواتر شامل للأصول والفرش كما نص عليه المحققون ، كابن الجزرى وغيره . وإن نازع منازع فى تواتر شىء منها قلنا له : ماتقول فى قراءة ابن كثير فى سورة التوبة « تجرى من تحتها الأنهار » بزيادة من ، وقراءة غيره باسقاطها ؟ فإن قال : متواترة ، فهو الغرض ، وإن منع تواترها فقد خرج عن الإجماع على تواترها ، أو باهت فيما هو معلوم منها . وإن قال بتواتر بعض دون بعض فقد تحكم فيما ليس له ، لأن ثبوتهما فى الرتبة سواء ، فلزم التواتر .

تاريخ القراءات

ثبت أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ فى رمضان كل عام بما

ينزل عليه فى طول السنة ، وأنه ﷺ كان يعلم أصحابه القرآن ، وكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضى قدرتهم على الأداء كما سمعوه منه ﷺ ، لأنه نزل بلغتهم . ولكن لما كانت لغة العرب على ألسنة شتى وأنحاء مختلفة ، ويعسر على كثير منهم الانتقال عما جرى عليه اعتياده ، كان من تيسير الله تعالى وتخفيفه على هذه الأمة أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرىء كل فريق بما جرت به عادته وألفه طبعه.

وقد ثبت أن القرآن كله كتب على عهده ﷺ وبين يديه فى الصحف والألواح والعسب ، لكن غير مجموع فى موضع واحد .

ولما توفى ﷺ وقام بالأمر بعده الصديق رضى الله عنه ، وأصيب المسلمون فى واقعة اليمامة بقتل عدد كبير من القراء ، أشير على أبى بكر بجمع القرآن فأمر زيد بن ثابت بكتبه . فكتبه زيد فى صحف (أوراق مجردة جمع فيها القرآن سورا مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة ، ولم ترتب السور إثر بعضها) . وكان لايكتب منه شيئا حتى يشهد شهيدين على انه مما كتب بين يديه ﷺ ، وأنه من الوجوه التى نزل بها القرآن . وكانت هذه الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها ، وكانت محتوية على جميع الأحرف السبعة ، كما نص على ذلك غير واحد من الأئمة .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه رأى حذيفة بن اليمان أهل الشام والعراق يختلفون فى القراءة وكل فريق يخطىء الآخر ويزعم أن قراءته خير من قراءته . فرجع إلى عثمان وأشار عليه بجمع الناس على مصحف واحد ، فجمع عثمان الصحابة ، وكانوا وقتئذ اثنى عشر ألفا ، واستشارهم فوافقوا على ذلك ، فطلب عثمان الصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر ، وأمر زيد بن ثابت وآخرين من الصحابة بنسخها فنسخوها فى مصاحف ، وعددها على المعتمد ستة : مصحف للمدينة ، ومصحف لمكة ، ومصحف للشام ، ومصحف للبصرة ، ومصحف للكوفة . وأبقى السادس لنفسه ، وهو الذى يقال له الإمام . وقيل يقال لكل منها إمام .

وكانت كتابتهم هذه المصاحف باجماع منهم على اللفظ الذى استقر عليه الأمر فى العرضة الأخيرة التى قرأ بها رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام عام

قبض دون ما كان مأذونا فيه قبلها ، وعلى لسان قريش ، وعلى ماصح مستفاضا عنه عليه الصلاة والسلام دون غيره ، قطعا لمادة الخلاف . فصار مايخالف خط المصحف فى حكم المنسوخ كسائر مانسخ ، فليس لأحد أن يتعدى الرسم . وجردوا كتابتها من النقط والشكل ، وكتبوها متفاوتة فى الحذف والإثبات ، لتحتمل ماصح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ من بقية الأحرف السبعة مما هو فى غير لسان قريش ، إذ كان الاعتماد فى نقل القرآن على الحفظ لاعلى مجرد الخط .

ولما أرسلت المصاحف الخمسة إلى المدن الخمس المذكورة ، أرسل مع كل مصحف عالم لإقراء الناس بما يحتمله رسمه ؛ فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدنى ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى ، وبعث المغيرة بن شهاب مع الشامى ، وعامر ابن عبد قيس مع البصرى ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وكان فى تلك البلاد فى ذلك الوقت الجم الغفير من حفاظ القرآن من الصحابة والتابعين . فأجمع الناس على هذه المصاحف ، وقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم ، وتلقوه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبى ﷺ .

وقد اختلف هل هذه المصاحف مشتملة على الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث أو على بعضها ؟ فذهب جماعة إلى الأول ، بناء منهم على أنه لايجوز للأمة أن تهمل نقل شىء منها ، وذهب آخرون إلى الثانى إذ لم تكن الأحرف السبعة واجبة على الأمة ، وإنما كان ذلك جائزا لهم مرخصا فيه ، وقد حصل لهم الاختيار فى أى حرف اختاروه . والحق الذى غليه أكثر المحققين كابن جرير وابن عبد البر والمهدوى ومكى والشاطبى وابن تيمية والقسطلانى وغيرهم أن الذى جمع فى هذه المصاحف هو الذى اتفق على إنزاله ، المقطوع به ، المكتوب بأمره ﷺ ، وفيه بعض مااختلف فيه من الأحرف السبعة لاجميعها . ثم بعد ذلك كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم هذه المصاحف وصار أهل البدع والأهواء يقرءون بما لاتحل تلاوته وفاقا لبدعتهم ، فاجتمع رأى المسلمين على أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم ، فاختاروا من كل مصر وجه إليها مصحف ، أئمة

مشهورين بالثقة والأمانة فى النقل وحسن الدين وكمال العلم ، أفنوا عمرهم فى القراءة والإقراء ، واشتهر أمرهم ، وأجمع أهـل مصرهم على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم . فمنهم بالمدينة أبو جعفر وشيبة ونافع ، وبمكة ابن كثير وابن محيصن والأعرج ، وبالشام ابن عامر وعطية بن قيس ويحى الذمارى ، وبالبصرة ابن أبى إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدرى ويعقوب الحضرمى ، وبالكوفة يحى بن ثابت وعاصم الكوفى والأعمش وحمزة والكسائى .

ثم إن القراء بعد ذلك تفرقوا فى البلاد ، وخلفهم أمم بعد أمم ، كثر بينهم الإختـــلاف وقل الضبط ، وكذا التخليط ، واشتبه متواتر القراءات بفاذها ومشهورها بشاذها ، فوضع الأئمة لذلك ميزاناً يرجع إليه ، وهو السند والرسم والعربية ، فكل ماصح سنده ووافق وجهاً من وجوه النحو ، سواء أكان أفصح أم فصيحاً ، مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه اختلافا لايضر مثله ، ووافق خط مصحف من المصاحف المذكورة ، فهو من السبعة المنصوصة فى الحديث ، سواء أكانت عن السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين . نص على ذلك الدانى وغيره ممن يطول ذكرهم . إلا أن بعضهم لم يكتف بصحة السند ، بل اشترط مع الركنين المذكورين التواتر ، وجزم به النويرى ، وهو ظاهر بالنظر لمجموع القرآن ، أما بالنظر لكل فرد من حروف الخلاف ، فالظاهر أنه لايشترط ، إذ لو اشترط فى ذلك لانتفى كثير منها مع ثبوته عن الأئمة .

والذى جمع فى زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة : نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وأبى جعفر ، ويعقوب ، وخلف ، أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلينا . فقراءة أحدهم كقراءة باقيهم فى كونها مقطوعا بها .

على محمد الضباع

شيخ عموم المقارىء المصرية

من خصائص القصة
فى القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب تنزلت آياته على البشرية الحائرة ، كما تتنزل قطرات المزن الصافية على الأرض المجدبة القاحلة ، فتحي مواتها ، وتعيد شبابها ، وتجدد إهابها ، وترجعها رياضاً مزهرة وجنات باهرة . ولقد صنع القرآن المجيد بعقول الناس وقلوبهم الأعاجيب ، وحول وجهتهم إلى طريق جديد ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد ، ووضع أبصارهم وأيديهم على حقيقة عزهم فى الدنيا ، ومعقد سعادتهم فى الآخرة ، ولذلك كان القرآن دستور البشرية الذى لايبلى ، ووردها الذى لاينسى ، « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

والناظر فى صفحات القرآن الكريم وآياته يرى أنه قد اهتم بالناحية القصصية اهتماماً كبيراً ، ولو أحصينا عدد الآيات التى تضمنت مواقف من قصص المؤمنين وقصص الكافرين ، أو إشارات إلى تلك القصص ، لوجدناها تستغرق قسطاً كبيراً وجانباً عظيما من القرآن الكريم ، وليس ذلك بغريب ، لأن القصة منذ القدم مهوى القلوب وبغية الأسماع . إنها تستولى على مشاعر الإنسان وإحساسه وخياله ، وتسبح به فى عوالم شتى من التصورات والأفكار ، ويتخذ له منها عظة وعبرة ، فإن كانت عن قوم صدقوا فنجحوا ، تشبه بهم ونهج نهجهم ، وإن كانت عن قوم طغوا فلقوا جزاءهم الوفاق ، خاف وحذر ، وخشى أن يصيبه ماأصابهم ، ومن وراء ذلك التأثر تقف نفوس كثيرة عن الحرام ، وتتباعد عن الفساد ، وتتمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق .

من خصائص القصة فى القرآن الكريم أنها تجمع فى آن واحد بين قصص الصالحين وقصص الطالحين ، وتبين نتيجة الأولين وعاقبة الآخرين ، فهى حينما تقص علينا مثلا قصة رسول من الرسل أو نبي من الأنبياء ، أو داع من الدعاة ، وكيف لقى العنت والإرهاق والمشقة فى بادىء الأمر ، ثم جاء أخيراً نصر الله فأيده ورعاه ،

وأعزه وهداه ، تسرع فتقابل هذه الصورة بصورة الذين شقوا ، والذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور ، فطغوا وبغوا ، وأخذتهم العزة بالإثم ، ثم لم يكن إلا زمن قليل ، وجاءهم بعده عقاب الله الذى لا يرد ، فكان عاقبة أمرهم خسارا وبواراً .

واعتادت القصة القرآنية هذه المقابلة وتلك المقارنة ، لتجعل القارىء دائماً بين عاملى التحذير والتبشير ، والوعد والوعيد ، والخوف والرجاء ، وبذلك تعتدل حاله وتتوسط أموره ، فلا يكون منه إفراط أو تفريط ، هنا أو هناك ! ! .

ومن خصائص القصة فى القرآن الكريم أنها فى الغالب لا تذكر مرة واحدة ، بل تكرر وتعاد ، وكلما كررت جملت ، وكلما أعيدت حلت ، وما أحلى مذاق الشهد وهو مكرر كما يقول القائل . . وبعض الذين أكل الجهل والحقد والغباء قلوبهم وعقولهم يفترون على الله الكذب ويقولون : ما كان أغنى القرآن عن هذا التكرار !.. وذلك ضلال فى التفكير وإثم كبير ، فإن الأمر المهم الذى تلقيه إلى تلميذك أو تابعك يحتاج منك دائما إلى أن تعيده وتكرره ، حتى يرسخ ويثبت ؛ والقصص القرآنية قد أعيدت وكررت لتبلغ غايتها من الثبات فى عقول قارئها وسامعيها ، وليكون تكرارها تذكاراً ينبه من غفلة ، ويوقظ من سنة ، ويجدد العهد من حين لحين بشىء مضى وهو من الجلالة بمكان ؛ وليكون تكرارها عاملا قوياً من عوامل التأثير فى نفوس السامعين ، فقد تلقى إليك القصة أولا وأنت مشغول أو مضطرب أولاه غير مستعد لتقبلها ، فإذا أعيدت عليك بأسلوب آخر وفى مكان آخر وفى وقت آخر ، ثبتت واستقرت ، فكأنها تتلمس الأسباب والأوقات الملائمة والفرص الممكنة لكى تدخل إليك وتستحوذ عليك وتؤثر فيك ! ! .

وقد قرن هذا التكرار بتلوين فى العبارة ، وتجديد فى الأسلوب ، وتغيير فى طريقة العرض ، فتارة تعرض القصة طويلة ، وتارة متوسطة ، وتارة قصيرة وجيزة مختصرة ، وتلك أيضاً خصيصة أخرى من خصائص القرآن الكريم ، وتلك الخصيصة تنطوى على حكمة بالغة يستطيع أن يدركها أولو الألباب ، وهى أن الحق تبارك وتعالى قد أراد بذلك التلوين والتجديد والتغيير أن يضع أمام كل طبقة من الناس ،

وأمام كل طائفة من البشر مايلائمها من أنماط القول وطرق الكلام ، فهذا صنف لايرضيه إلا أن تفيض له وتسهب معه ، وهذا صنف متوسط يحتاج إلى القول الوسط ، وهذا صنف خاص تكفيه الإشارة عن العبارة ، ويغنيه التلميح عن التصريح ؛ والواعظ حينما يذهب إلى طائفة أمية عامية ، خالية الذهن عن قصة موسى عليه السلام مثلا ، سيرى نفسه مضطراً إلى أن يسرد عليهم هذه القصة مفصلة موضحة ؛ وأن يذكر لهم مواقفها بإفاضة وإسهاب ، ويستعين فى ذلك بما ورد من قصة موسى بإسهاب فى البقرة ، والأعراف ، وطه ، والقصص ؛ ولكنه عندما يقف ليعظ قوماً مثقفين ، سيكتفى معهم فى قصة موسى بمثل قول الحق تبارك وتعالى فى سورة النازعات : « هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ! ! .

ومن خصائص القصة فى القرآن الكريم أن القصة لاتذكر فى الغالب بجميع مواقفها فى موضع واحد ، أو سورة واحدة من سور القرآن ، بل يذكر بعضها فى سورة ، وبعضها الآخر فى سورة أخرى ، وهذا التقسيم والتوزيع مقصود لحكمة جليلة ، لأن الله تعالى يريد أن يمزج القرآن بعضه ببعض ، ويريد أن يجعله كتلة واحدة ، لاينفصل جزء منها عن جزء ، فهو كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها ؛ ولو قسم القرآن وجزىء فاستقل كل موضوع بناحية ؛ لانصرف كل إنساناً يطلب شيئاً خاصاً إلى ذلك الشيء وحده ، فقضى منه بغيته ، وانصرف عن الباقى ، ولكن الحق تبارك وتعالى لايريد هذا ؛ بل يريد أن يشغل المسلمين بكل القرآن وجميع موضوعاته وسائر أجزائه ، ولذلك صاغه هذه الصياغة الربانية ، وجعله مثانى ، كل كلمة منه تنثنى وتنعطف إلى جارتها فتأخذ بعنقها وتلتئم معها ، فإذا جاء إنسان يريد قصة آدم وحدها ، وطلبها من القرآن الكريم ، فسيرى نفسه مضطراً إلى أن يقرأ سورة هنا وسورة هناك ،

وفى خلال بحثه عن قصة آدم وهو غرضه الأساسى سيصادفه فى طريقه كثير من الجواهر واللآلىء والفرائد التى تتصل بالعبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو العقائد ، فيكسب المرء بذلك كثيراً من الفوائد والمنافع عن غير قصد منه أولا ، والقرآن فى هذا شبيه بالمنجم الكريم ـ ولله المثل الأعلى ـ وهذا المنجم يحوى كل الجواهر والأحجار الكريمة ، ولكنها ممزوجة غير مفصولة ، فمن أراد الوصول إلى الذهب مثلا صادف فى طريقه اللؤلؤ والمرجان والياقوت وغيره من كرائم الجواهر .

ومن خصائص القصة القرآنية أنها حقيقة واقعية ، لم تعتمد على خيال ، ولم تجنح إلى تمثيل ، ولم تستعن باختلاق . ومن أصدق من الله قيلا .

ولا ينكر إنسان ما للخيال من روعة وجاذبية ، ولكن الخيال فى ميدان التربية والتعليم لايجدى جدوى الحق والواقع ، وأنت قد تقص على الطفل أو التلميذ قصة مؤثرة بحوادثها ونتائجها ؛ فيتأثر بها كل التأثر ، ولكنه حينما يعلم أنها بنيت الخيال يقل تأثره ، ويتعود على استماع أمثالها فيما بعد دون استجابة لهواتفها ودواعيها .

وإذا كان الضلال فى التفكير ، والهوى فى العقيدة ، قد دفع ببعض الأغرار أو الأشرار إلى أن يزعموا أن قصص القرآن فن وتمثيل . . . إذا كان هذا قد حدث فإنه لم يترك له أثراً ، ولم يقم العقلاء له ميزانا ؛ وذهب الزبد جفاء وبقى ماينفع الناس ثابتاً ثبات الأبد راسخاً رسوخ الجبل . وستظل قصص القرآن خير تاريخ يصور الماضى فى صدق وأمانة وإحكام ، وستظل آياته مصدراً للهداية والتقويم ، وستكشف الأيام بعد الأيام عما فى القرآن من كنوز ونفائس مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ؟ !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

كلمة الأتحاد

فى حفل العام الهجرى الجديد

حضرات السادة المستمعين :

التحيات لله ذى الجلال والإكرام ، وعلى نبيه أفضل الصلاة وأكمل السلام ، ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت . وكل عام والإسلام والعروبة بوفير الخير ، ومنيع العزة ، ومدارج المعالى والسيادة والسعادة .

وبعد ، فمنذ ساعات معدودات ، ولد فى تاريخ الإسلام والمسلمين عام جديد . وإذا كان الغد المأمول ، تشرق بواكيره من خلال تباشيره ، فأكبر الظن أن عامنا الجديد ، عام سعيد ، ميمون فى استهلاله ، عظيم فى آماله وأعماله ، بفضل الله سبحانه وتعالى .

فلقد ولد والحق يكافح الباطل ، والنور يبدد الظلام ، واليقظة العربية المباركة مثار إعجاب ، ومدار إطناب بين شعوب العالم .

واستهل علينا ، فاستقبله اتحاد القراء بهذا الحفل القرآنى الكريم ، فى مسجد أبى عبد الله الحسين ، حفيد النبى عليه السلام . فما أعظمه من استهلال ، وما أكرمه من احتفال

* * *

والآن — يا حضرات المستمعين — هيا بنا ننتقل إلى مكة ، انتقالا خياليا قوياً ، بعدما نطوى القرون والسنين طياً ، حتى نقف عند العام الثالث عشر من الرسالة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأجل السلام . فماذا نرى ؟ ؟

نرى النبى عليه السلام يدعو إلى الله بشيراً ونذيراً ، ويجمع الإنسانية الشتيتة ، التى أكلتها البغضاء والشحناء ، على كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، ويؤلف بين ما تفرق منها بسبب الأطماع والأحقاد والشهوات ؛ ويقضى على الفوارق التى خلقت فى الأخوة الإنسانية ، طوائف وقبائل وعشائر وعصبيات .

فإذا نحن أمعنا فى طلعتـه عليه السـلام ، وأمتعنا أنظارنا بتعرف سمـاته ومميزاته ، وجدناه : رجلا ليس طويلا ولا قصيراً ، لونه بياض مشرب بحمرة ؛ وعيناه سوداوان واســعتان ، وأهدابهما غزيرة طويلة جميلة ، يتصل حاجباه ببعضهمـا ، ورقبته أميل إلى الطول ، وجسمه أقرب إلى الامتـلاء ، وصدره عريض ، وبين كتفيه خاتم النبوة : فى حجم بيض الحمام .

وإذا نحن تعرفنا به عن طريق نسبه وخلقه ، فأكرم الناس نسباً ، وأعظمهم أدباً وخلقاً ، إذا تحدث ففى هدوء ، وإذا ما عزم فعلى مضاء ، وقد بلغ فى قومه من الثقة والأمانة وعلو المكانة ، مبلغاً عديم النظير .

ها نحن أولاء نراه ، صامداً فى دعوته ، وقريش ماضية فى عنادها ، تتنكر لقرابته ، تتحرش به ، يحاول بعضهم غير مرة أن يخنقه وهو ساجد عند الكعبة تمعن فى إيذاء أصحابه ، تتبجح بإحاطة الكعبة بالأصنام ، لكل قبيلة صنم تعبده ؛ ويحاولون إغراء النبي بالمال ، وبالجـاه وبالملك فلا يلين ، ويمضى ، فتمضى قريش فى إصرارها وعنادها ، وتمعن أكثر وأكثر فى ألوان عـــدائها ، وضروب تعذيبها ، حتى يستشهد من أصحاب محمد من يستشهد ، وحتى يهاجر إلى الحبشـة منهم من يهاجر ، وتأخذ قريش السبيل على محمد وأصحابه ، فيوقعون مخالفـة على مقاطعة النبي وأتباعه وحصارهم حصاراً دقيقاً فى شعب أبى طالب بمكة ، لايدخل لهم زاد ولا غير زاد ، ثلاث سنوات أو تكاد . حتى أكل المســلمون أوراق الشجر

وتموت خديجة أم المؤمنين زوج النبي وإحـدى سواعده القوية ، وينتصر النبي بثقيف فترده ثقيف ، وتحصبه سفهاؤها بالحجارة حتى تدمى عقبه الشريفة . ويخرج وهم يطاردونه فى مظاهرة سفيهة ، بينما هو يدعو لهم ، وجل مناه ألا يكون الله غاضباً عليه ، فيقول فيما يقول : اللهم إنى أشكو اليك قلة حيلتى ، وضعفى ، وهوانى على الناس . . . إلى أن يقول : أنت ربى ، ورب المستضعفين !

إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى . أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليــه أمر الدين والدنيا ؛ من أن تنزل على سخطك ، أو يحل على غضبك . . .

وتحل المواسم السنوية ، فتقصد وفود العرب مكة على عادتها الموروثة ، وينشر النبي بينهم دعوته ؛ ويستجيب لها اليثربيون ، ويعـاودون من عامهم الثانى أكثر وأكثر مستجيبين ، فيبايعون على الإســـلام والانتصار للدعوة ، ويجرى بينهم حديث عن الهجرة . .

ويبدأ المضطهدون من المكيين يهجرون مكة إلى المدينة ، أمناً على حياتهم ، وبثاً للدعوة الجــديدة بين المستجيبين المتزايدين ، ويأتى دور النبى للهجـرة ، فماذا نرى ! !

نرى دار الندوة فى مكة ، وقد عقد فيها مؤتمر من رجالات قريش وسادات العرب ، ضم الزعيمين الجبارين : أبا جهل وأبا لهب ؛ يتداولون الرأى على قتل محمد وقبر دعوته ، وعدم إفلاته من مكة مهما كلفهم الأمر . ونرى شيخاً نجدياً بينهم يتزعم الجلسـة ، ويقود المناقشة ، يحفز القوى ، ويبعث الشر ، ويبث الكيد والحفيظة . .

ويتفقون على رأى شيطانى إبليسى ، وهو أن يقتـل محمداً مندوبون من جميع القبائل ، ليتفرق دمه ، فلا يستطيع أحد أن يطالب به ، فيعطى أهله ديته ؛ وينتهى أمره .

ثم نرى مكة ليلة التنفيذ حالكة الظلام ، يتجول الشر فى دروبها ومسالكها ؛ وكل مندوب معتد بعدة حربه ، مستعد للضربة القاضية ، ليسمو بها على العرب ذكراً وفخراً . .

وهاهم أولاء جميعاً يحاصرون دار أبى طالب ، وفى إحدى حجراتها رجلان نائمان تحت غطاء واحد ، هما : محمد ، وعلى .

إن من الصعب على الإنسان أن يتصور . . . الموقف خمسة فتيان أشداء ، يحاصرون رجلا أعزل نائماً . فماذا ينتظرون ؟ ؟ إن النوم موت أصغر ، والنبي نائم ، فماذا ينتظرون ؟ !

هنا تقف العقول . . . وتتفتح العيون المشدوهة على مشهد مروع . يا عجبا ! . انظروا . هاهو ذا النبي ﷺ قد قام من فراشه ، بعد أن أسر إلى على رضى الله عنه بحديث ما . . قام النبي من فراشه ، يمشى نحو الباب المرصد ، الممتلىء موتاً ورعباً . يمشى وئيد الخطى فى شجاعة غريبة ، ويدنو من الموت المترصد ، وهو يتلو الآيات الأول من سورة يس ، وفى يده قبضة من تراب ؛ حتى إذا وصل فى تلاوته إلى قول الله عز وجل : (فأغشيناهم فهم لايبصرون) كان أمامهم وجهاً لوجه . ثم انظروا مليا أيها السادة ، تجدوا النبي عليه السلام يضع جزءاً من التراب ، على هامة كل بطل من هؤلاء الأبطال ، وهم سكوت ؛ ويغادرهم فى تؤدة واطمئنان ! .

حضرات المستمعين :

نريد أن نقف وقفة قصيرة عند النبي وصاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ونريد هنا ، أن نتعرف على مميزات أبى بكر وسماته .

فأما سماته ، فهو أبيض الشكل أميل إلى الامتلاء ، كثير الاطراق ؛ حسن الصوت ؛ فاتن فى تلاوة القرآن ، يبكى من يسمعه .

وأما صفاته ، فأهمها : الصدق ، حتى سمى الصديق ، والأدب ، والحياء والوفاء ، والبذل والتضحية وبعد النظر والثبات . وهو من أعرق المكيين نسباً ، ومن أعرفهم بمكانة ذوى المكانة ، ومن أعلم العرب بأنساب العرب ؛ وكان كثير الإثراء ، لكن جوده كان أكثر ، نزل عن كل ماله لله تعالى عشر مرات .

كان الصاحب الأول للنبي ؛ أعد العدة للهجرة ؛ ودبر الخطة لها ؛ وبدأ المرحلة الأولى من الهجرة .

فلنقف هنا ـ كما قلنا ـ وقفة قصيرة ، نستمع إلى كلمة الوداع التى يودع بها النبي مكة ،

وهو يلقى عليها نظرة أخيرة وقلبه الشريف ومشاعره الكريمة فى البيت وما حول البيت : « والله ، إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى ، وأنك أحب بلاد الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى ماخرجت . . » ثم تحول ويمم وجهه شطر غار ثور ، وهو يقول : (رب أدخلنى مدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق ؛ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) .

ومن خلفهما فتاة الإسلام الأولى أسماء بنت أبى بكر ، تعفى بنطاقها على آثار أقدامهما ، حيث لايبقى على الرمال مايدل عليهما ، حيطة وحذراً من أسرة أبى بكر على الإسلام .

وقبل أن يدخل النبي الغار ، سبقه أبو بكر ، فتفقده وتحسس أغواره وأخاديده ، ليطمئن على سلامة النبي ﷺ .

ومكثا بالغار ثلاث ليال ، متخفيين ، ومكة قائمة قاعدة فى الحديث عنهما ، وتقصى أخبارهما ، واستكناه آثارهما ، وتتجه الشبه إلى أسماء ، ويسألها أبو جهل عنهما ، فلا يهتدى إلى علم منها ، فيضربها بيده على أذنها ضربة يطير منها قرطها ويسيل دمها ، ويمشى بين غيظ وخيبة ، وتكثر قريش من قيمة المكافأة التى تعطى لمن يرشد عن محمد وصاحبه ، فتغرى هذه الكثرة قوماً من العرافين بالآثار ، فيجدون حتى يصل بعضهم إلى باب الغار ، ويقف أحدهم متأملا .

وهانحن أولاء مرة أخرى ، نشهد موقفاً حرجاً خطراً على المتخفيين ، حتى يظن أبو بكر أن هذا الواقف لو حرك إحدى يديه للمسه وشعر به ، فنشهد على وجه أبى بكر صوراً متتالية من الحزن والخوف ، والوجل والرهبة ؛ فيحدث النبي بالخطر الماثل المحدق ، فيجيبه النبي فى ثقة وأمان واطمئنان : « ماظنك باثنين الله ثالثهما » ! وتنزل فى ذلك الآية الكريمة (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ؛ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا .)

فتنزل سكينة الله على أبى بكر ، ويعود إليه صوابه ، ويرجع إلى دينه ويقينه ؛ ويترك الواقفين بباب الغار يحاور بعضهم بعضا .

قال قائل منهم : لندخل هذا الغار ونتحسسه ، فلعلهما فيه .

فأجابه الثانى وكان أقرب منه إلى باب الغار : إن بأرض المدخل بيض حمامة وقد نسجت عنكبوت خيوطها على فضائه . هلم بنا فليس هنا من أحد !

حضرات المستمعين :

أليس لنا أن نقف هنا وقفة حبيبة نتأمل فيها هذين الحادثين :حادث الخروج من الحصار ، وحادث تحصين الغار .

أليس فى هذين الحادثين مايطمئن الدعاة إلى الحق ، الهداة إلى الله . وماذا تنال المؤامرة والاضطهادات ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ! وماذا ينال الباطل المسلح بالحديد وبالنار أمام الحق الأعزل الماضى فى اليقين ، المعتز بالله المتوكل على الله !

حضرات المستمعين :

بدأت المرحلة الثانية من الهجرة ، فغادر النبى الغار وصاحبه ، وأمامهما دليلهما إلى المدينة ، ولقد لقيا فى الطريق بعض المخاطر والصعوبات مما جعل الرحلة تطول ، ولكن فى سلامة الله . ولنشاهد مع أهل المدينة احتفال المسلمين بقدوم النبى ﷺ عليهم ، وحفاوتهم البالغة به ، وتسابقهم إلى زمام ناقته ، كل يريد مناخها عند داره ليحظى بشرف الضيافة .

ولكن ناقة النبى ـ وهى عجماء ـ كانت تعرف مكان مناخها ، فيطلب إليهم الرسول أن يتركوها تنيخ حيثما أمرت ، ويقول « دعوها فانها مأمورة » .

فتنيخ عند دار أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، حيث المسجد النبوى الشريف ، والروضة المحمدية المباركة .

حضرات المستمعين :

هاجت الهجرة النبوية أعصاب المشركين من اليهود فى المدينة ، وغاظهم أن آخى النبى بين المهاجرين والأنصار ، وأن قضى على العداوة التى أشعلت الحروب بين الأوس والخزرج ، وأن قامت ديانة محمدية إنسانية تناهض دين المال والأثرة والأنانية ، وتقضى على نظام الطبقات ، وتجعل الناس كأسنان المشط

سواسية أمام الله ، وتوحد الإنسانية على توحيد الله ، وتوجيهم إلى قبلة واحدة خمس مرات كل يوم : توحد بين قلوبهم مهما تناءت ديارهم وتباعد مزارهم ، وتوحد بينهم فى لباس الإحرام فى الحج من كل عام حيث يجتمع أعظم مؤتمر دينى إنسانى .

غاظ اليهود ذلك التآخى الإنسانى فبيتوا له الشر وأضمروا له الكيد ودبروا له المؤامرات ، فمن فتن يفرقون بها بين المسلمين ، إلى لاتصالات بخصومهم ، إلى تجسس ، إلى خيانات ، إلى نفاق ، إلى غير ذلك من أنواع الشر ، حتى وصل بهم الأمر إلى أن احتالت إحدى اليهوديات فدعت النبي وبعض أصحابه إلى وليمة مسمومة ، وأنطق الله الذبيحة للنبي لحذرته ، واعترفت اليهودية بما كان .

كان كل ذلك سبباً فى أن النبي احتكم مع اليهود إلى أحد عقلائهم ، وبعد استعراض للحوادث واستماع أقوال الطرفين ، حكم عليهم صاحبهم بجلائهم عن المدينة . وقد كان . وحلوا عنها إلى غير رجعة .

والآن ياحضرات المستمعين : هل نعود من المدينة المنورة بصورة مصغرة للشعور الإسلامى الأول لنهتدى بهديه ونسترشد بإرشاده .

فهاهم أولاء قراء كتاب الله يبدءون الحفل من كتاب الله إيذاناً ببداية الحياة فى هذا العام باسم الله ، وعلى هدى كتاب الله .

إلا أنهم بحرصهم على تذكر القرآن، وتدبر آياته، وترسم تلاوته. وباتصالهم بأشياخهم فى القراءة عن أشياخهم ، عن أشياخهم - إنما يحققون الحديث الشريف الذى رواه زيد ابن ثابت رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

« إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل »

لتنبعث من القرآن حيويته وروعته ، ولتحيا الإنسانية الإسلامية فى معانيه وتعيد سيرتها الأولى .

نسأل الله أن يزيد الاسلام والمسلمين والعروبة عزاً ومجداً وسؤدداً وسعادة ، وأن يبيد عصابة الصهيونية من فلسطين وغير فلسطين ، وأن يديم عاهل النيل العظيم « فاروق » الأول حفظه الله ورعاه . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

اسماعيل السعراوى — من علماء الأزهر